



منذ فجر الدعوات الإسلامية، والناس فريقان يختصمون، ففريقٌ ركل الدنيا برجله وطأقها طلاقاً بائناً لا رجعة فيه، وطبع بصره إلى العلياء، واتصل قلبه برب السماء. وفريقٌ جذب إليه الدنيا وجنبته الدنيا، وجعلها أكبر همه، وبلغ علمه، وربط جباله بحبالها، وعلق بها كما تعلق الحشرات بخيوط العنكبوت؛ {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ \* وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ \* وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ \* وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنْ فِي الْقُبُوْرِ} [فاطر: 19-22].

وارتجز علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يوم بناء المسجد:

لا يستوي من يعمِّر المساجدا  
يبدأُ فيه قائماً وقاعداً  
ومن يُرى عن الغبار حائداً

وكمال العقل هو التحليق إلى الأعلى، والطواف حول النجوم والكواكب:

شدَّت الأرض قواها فالقمر \*\*\* في طوافٍ حولها لا مُستقرٍ

قال ابن الجوزي: "من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دنيء".

ولم أَرْ في عيوب الناس عيباً \*\*\* كنقص القادرين على التمام.

وجلَّ الغشاوة عن هذا المعنى رائد الدعوة في سوريا مصطفى السباعي فقال:

وهل يستوي طيران هذا محلق \*\*\* تروم جناحاه سماء ملائكة

وذاك مُسْفَ حائِمٌ فوق جيَفٍ \*\*\* على الأرض تدنيه لوطء سنابك

لا يستوي الصقر الذي يضرب بجناحيه علَّا في السماء، والغراب الراضي بالجيَف المتنَّة يلتهمها بشراهة وشغف، وهو فرح مسرور بما يدخل جوفه.

قلتُ للصقر وهو في الجوّ عالٌ \*\*\* اهبط الأرض فالهواه جديب  
قال لي الصقر في جناحي وعزمي \*\*\* وعنان السماء مرعى خصيب

لا يستوي خفافن جناحي البازِي، وخفافن جناحي الزنبور:

وللزنبور والبازِي جميـا \*\*\* لدى الطيران أجنة وخفق  
ولكن بين ما يصطاد باز \*\*\* وما يصطاده الزنبور فرق

لا يستوي من يتصدِّع بالحق في وجه سفاح الشام وطاغيته وينكر عليه ولوغه في الإجرام وسفك الدماء، ومن مثله كمثل الكلب من علماء السوء؛ كالبولي وأشباهه من أضلهم الله على علم.

وهل أفسد الدين إلا الملوك \*\*\* وأخبار سوء ورهبانها  
وباعوا النفوس ولم يربحوا \*\*\* ولن تغل في البيع أثمانها  
لقد رتع القوم في جيَفٍ \*\*\* يبيِّن لذِي العقل إنتانها

**قال أبو حازم - رحمه الله -** : "إنه والله ما يستوي من غداً أو راح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه، ومن غداً أو راح في عقد الدنيا يعمرها لغيره ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب. يا حسرة على أولئك العلماء الذين يتبوئن شر المنازل يوم القيمة.

روى ابن ماجه عن أبي أمامة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((من شر الناس منزلة عند الله يوم القيمة عبدٌ أذهب الله آخرته بدنيا غيره)).

لا يستوي من يريد ثواب الدنيا ومن يبتغي ثواب الآخرة: {وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا} [آل عمران 145]. وشتان شتان بين إرادة وإرادة، شتان بين حياة وحياة، وشتان بين ثواب وثواب.

لا يستوي من عاش في رحاب دين الله مستغرق الفكر في آيات الله المتنَّلة والمرئية ينادي ربه، وأكبر همه أن يكون له أثر في دعوة الخلق إلى الله - عز وجل -، وأن يكون له بصمة ظاهرة في جهاد أعدائه وتطهير الأرض من رجسهم ودنسمهم وإفسادهم، ومن يقعد بكلٍّ صراطٍ وهو يصدّ عن سبيل الله ويوعد من آمن، ويبذل كل ما في طاقته ووسعه في سبيل الإفساد والعوج.

فَخُذْ لَكَ زَارِينَ مِنْ سِيرَةِ \*\*\* وَمِنْ عَمَلِ صَالِحٍ يُدَخِّرُ  
وَكُنْ فِي الطَّرِيقِ عَفِيفُ الْخُطَا \*\*\* شَرِيفُ السَّمَاعِ كَرِيمُ النَّظَرِ  
وَكُنْ رَجُلًا إِنْ أَتَوْا بَعْدُهُ \*\*\* يَقُولُونَ مَرَّ وَهَذَا الْأَثَرُ

لا يستوي هؤلاء وأولئك، فاختر لنفسك أي الطريقين تسلك، وكلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له.

المصدر: رابطة العلماء السوريين

المصادر: